

Israel withdrawal truth 1

كتب د. وليد فارس:

في يوم ٢٥ مايو (أيار) ٢٠٠٠، انسحبت إسرائيل من الشريط الحدودي في جنوب لبنان، وأهم من ذلك، فككت جيش لبنان الجنوبي وسمحت لأعضائه باللجوء إليها. وتتنافى رواية "حزب الله"، بأنه هو الذي "حرّر" الجنوب والبقاع الغربي من إسرائيل مع الواقع، فالحزب لم "يحرّر" شيئاً إلا بعد قيام إسرائيل بالانسحاب من منطقة معينة، لأسباب دولية وداخلية. وعلى أثر هذه الانسحابات المتتالية منذ ١٩٨٥، تقدمت الميليشيا الإيرانية (في ولائها) وسيطرت واحتلت بـ"تحرير". وهكذا حتى الحدود. كيف نُثبت ذلك؟ من أبسط الأمور.

إسرائيل انسحبت من مناطق عديدة بين ١٩٨٣ و ١٩٨٥، لأن الحكومة اللبنانية لم تتمكن من إنجاز اتفاق سلام ولأسباب أخرى. ولكن عندما توقفت إسرائيل عن الانسحاب ورسمت خطوط تركز جيش لبنان الجنوبي في جزين والبقاع الغربي، فجأة توقف "تحرير" الحزب، فلم يحرّر سنتيمتراً واحداً خلال ١٤ سنة، وفشلت قواته بكل هجماتها، ليس فقط على الإسرائيليين بل وبخاصة على الجيش الجنوبي. وجاء عام ١٩٩٩ فخرجت إسرائيل بشكل مباغت من جزين. وهب "حزب الله" بين ليلة وضحاها ليعلن تحرير جزين! لم يحرّر شيئاً بالقوة العسكرية، بل كان يهضم مناطق تتخلى عنها إسرائيل، وتسمح له الحكومة اللبنانية بقرار سوري أن يستعرض عضلاته فيها.

ولم تتمكن الميليشيا الخمينية من "تحرير" بقية الشريط بعد جزين، على الرغم من هجمات استعراضية، أفشلها الجيش الجنوبي الواحدة بعد الأخرى حتى يوم ٢٥ مايو ٢٠٠٠. فاجأت إسرائيل الجميع بمن فيهم الجيش الجنوبي بأمر انسحاب سريع وهددت الجنوبيين بإقفال الحدود عليهم ما لم ينسحبوا أيضاً. فهرع أفراد جيش لبنان الجنوبي إلى إخلاء مواقعهم وإجلاء عائلاتهم إلى ما وراء الحدود، بينما كان زعيم الميليشيا الخمينية يهدّد "بذبح الجنوبيين في فراشهم ما لم يتركوا أرضهم له". وبعد أن انسحب آخر جندي جنوبي بعد منتصف الليل، وبعد ساعات، هرولت جماعات الحزب وحلفاؤها لدخول "الأراضي المفتوحة" – هناك رواية متداولة تفيد بأن مسؤولاً كبيراً في أحد الأحزاب الحليفة لـ"حزب الله" بقي يفاوض أحد قادة جيش لبنان الجنوبي طوال يومي ٢١ و ٢٢ من مايو للانقلاب وتسليم منطقته لإظهار ما يحدث على أنه تمّ تحت ضربات الحزب ولكن طلبه جوبه بالرفض. ومنذ ذلك اليوم سيطر المحور الإيراني على كل الأراضي اللبنانية، بعدما كان نظام الأسد قد اجتاحت وسط لبنان في ١٣ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩٠، وسيطر على الجيش، والرئاسة، وفككت القوات اللبنانية وقمعها، ولجم كل الأحزاب والسياسيين، بمن فيهم حلفاؤه السابقون في الحركة الوطنية وحتى الفلسطينيين.

٢٥ مايو ٢٠٠٠ كان يوم خروج إسرائيل من لبنان وسقوط آخر قوة ميدانية تقاوم إيران والأسد على الأراضي اللبنانية، أي جيش لبنان الجنوبي، وكان قد تحالف مع إسرائيل لأن العالم قد تخلى عنه. ما جرى، بنتائجه، لم يكن لمصلحة لبنان الحر، بل في النهاية لمصلحة نظامي الأسد وإيران: فبعد اجتياح قوات الأسد المناطق الحرة المقاومة للنظام السوري و"حزب الله" في ١٩٩٠، سقطت الدولة اللبنانية كلياً بين يدي المحور الإيراني السوري، وبالتالي انتفت قدرة لبنان الحرّ على أن يسترجع الجنوب من إسرائيل من دون أن يسقط في يد إيران. فلأن لبنان الحرّ قد سقط بين يدي الأسد في ١٩٩٠، لم تعد هناك أي إمكانية لإخراج إسرائيل من دون إدخال إيران. بالتالي جهّز "حزب الله" نفسه لعشر سنوات ما بين ١٩٩٠ و ٢٠٠٠ لكي ينقضّ على الجنوب ويصل إلى الحدود الدولية مع إسرائيل، فور انسحابها، ويقدم هذه الساحة إلى طهران كورقة ضغط إقليمية ودولية.

في نهاية التسعينيات، عمل فريق من الاغتراب اللبناني، وهو الفريق نفسه الذي أنجز القرار ١٥٥٩ وعلى إخراج قوات الأسد من لبنان عام ٢٠٠٤، على حلّ يقضي بمبادلة خروج إسرائيل من الجنوب بخروج سوريا البعث من سائر لبنان، وذلك بموجب القرار ٥٢٠ الصادر عام ١٩٨٢. وقد طرحَتْ هكذا مشروع على الأمم المتحدة وإدارة بيل كلينتون وفرنسا بين العامين ١٩٩٨ و ٢٠٠٠، وملخصه أن يتم انسحاب كل القوات الأجنبية، بما فيها سوريا وإسرائيل، وانتشار قوات دولية في كل لبنان، وإعادة تأهيل الجيش اللبناني ونشره على الأراضي كافة، ونزع سلاح الميليشيات المتبقية، أي "حزب الله" وجيش لبنان الجنوبي، وحلّها كما حدث عام ١٩٩١ مع القوات اللبنانية والحزب الاشتراكي والتنظيمات المسلحة الأخرى.

وكانت ورقة الشريط الحدودي آخر ورقة لتنفيذ القرار ٥٢٠ وإنقاذ لبنان من السقوط النهائي في يدي طهران ودمشق. إلا أن هذه الجهود فشلت، لأن بيروت كانت قد سقطت قبل سنوات تحت المحور الإيراني السوري، ولم تعد قادرة على التحرك خارج قرار الأسد و"حزب الله"، ولأن إدارة كلينتون كانت تركز على حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وتم إقناعها بأن التراجع الإسرائيلي الأحادي في لبنان سيقنع إيران وسوريا بمباركة المفاوضات مع الفلسطينيين. إلا أن إسرائيل انسحبت، وتم حل الجيش الجنوبي، وسيطر "حزب الله" على المنطقة، ولم يسلم سلاحه إلى الجيش، ولم تخرج القوات السورية، ودخل الحرس الثوري، وتم تنظيم قواعد للمؤيدين لإيران في اليمن والعراق والبحرين على الأراضي اللبنانية. فأضحى ما سُمي التحرير و"الانتقام من عملائه" تغطية لابتلاع لبنان وجعله منصّة للانقضاض على العالم العربي.

ملاحظة من ناشر المقال على هذا الموقع، مقتطف من مقال آخر للمحامي نديم البستاني من أجل التوضيح: بعد اتفاق الطائف أبقّت إسرائيل على احتلالها للجنوب لصد الضغط الأمني الذي أتقنه حافظ الأسد المتحالف مع نظام الخميني وقد تكرر هذا الترابط الاستراتيجي السوري - الإيراني إبان مجزرة حماه ١٩٨٢، بحيث رفض الرئيس السوري سحب جيشه من لبنان، وكان يغذي المنظمات العاملة على قتل إسرائيل، متأملاً بكسب ورقة تفاوض قوية في مؤتمر السلام المنتظر وطامحاً أن يجني غالباً ثمن حلّ وضعية الجنوب اللبناني. تعثر المؤتمر سنة ١٩٩٦ بفعل عدم موافقة الأسد على "فصل المسارين" إذ أراد تحقيق انجاز سياسي من خلال استعادة الجولان. جراء انقطاع المفاوضات، اعتقدت إسرائيل أنها يمكنها الضغط على سوريا لإعادتها للمفاوضات عبر تصعيد ما العسكري في وجه حزب الله في الجنوب اللبناني، عبر ما عرف بعملية عناقيد الغضب ١٩٩٦. ولكن تبين أن هذا الحل يضعف موقف إسرائيل دولياً ويزيد من شعبية حزب الله ويعزز بالتالي وضعية سوريا في لبنان.

في الفترة التي تلتها بدأ يتبلور وعي في إسرائيل لتغيير استراتيجيتها، بحيث ثار انقسام سياسي كبير بين جبهتين، الأولى تضم مؤيدي عملية السلام الأحادي الجانب خارج عن طريق المفاوضات المباشرة وكان أبرزهم "يهود باراك"، والجبهة الثانية تصدت لهم بشراسة وكان على رأسها "بنيامين نتنياهو" رئيس الحكومة آنذاك. قبيل الانتخابات البرلمانية في إسرائيل، أراد نتنياهو تعزيز موقفه ورفع أسهمه فقصص محطات الكهرباء في لبنان، إلا أن خطته لم تنفع فجرت الانتخابات سنة ٢٠٠٠ وحقق يهود باراك نصراً كاسحاً فأوفى بوعده وانسحب من لبنان أحاديّاً.

فكيف حصل ذلك؟ إنها سلسلة طويلة من الأخطاء اللبنانية والتحركات الدبلوماسية الدولية والنوايا العربية الحسنة التي قابلتها نوايا إيرانية خبيثة.

أولاً، فشل الحكم في لبنان بعد اغتيال بشير الجميل في أن يستفيد من الدعم العربي، والأميركي والدولي، لنشر الجيش وتنفيذ اتفاق ١٧ مايو على غرار مصر والأردن. فتّمت خسارة الجبل وبيروت والبقاع لمصلحة "حزب الله" أو حلفاء الأسد، مما أدى إلى عودة القوات السورية والحزب للسيطرة على جزء من العاصمة ومناطق واسعة والادعاء بتحرير لبنان من إسرائيل، بينما كانوا يضربون كل الطوائف اللبنانية الإسلامية والمسيحية.

ثانيًا، الحرب الأهلية المدمرة والانتحارية في المنطقة الشرقية عام ١٩٩٠، التي قدّمت الشطر الآخر من بيروت إلى الأسد. فلو لم تسقط بيروت الشرقية بيد قوات النظام السوري، لما تحرّك حافظ الأسد الحذق والمتأنّي باتجاه الجنوب. فهو كان قادرًا على أن يدفع بـ "حزب الله" ليُقصّف ويقوم بعمليات، بينما يضغط هو على العرب ليضغطوا على إسرائيل لتتسحب، ولكنه كان خائفًا من أن تنفجر المنطقة الحرة بجيشها وبقواتها اللبنانية على خاصرته. لذلك انتظر سقوط بيروت أولاً ليهضمها، وينتظر ظرفًا تاريخيًا آخر لينقضّ على الشريط الحدودي.

ثالثًا، جاء هذا الظرف مع انتصار اليسار الإسرائيلي في الانتخابات، والتزام إيهود باراك بالانسحاب من جنوب لبنان. وكان آخر عام للرئيس كلينتون وكان مرشح الديمقراطيّن بحاجة إلى انتصار في السياسة الخارجية ليتمّ توظيفه في الانتخابات ضد جورج بوش في نوفمبر (تشرين الثاني). فاغتنم الأسد الفرصة الهائلة وعرض أن تتسحب إسرائيل من الشريط الحدودي كمدخل لخروج كل القوات بما فيها الجيش السوري، على أساس القرار ٥٢٠. إلا أنه شدّد على إزالة الجيش الجنوبي من الوجود بدلًا من استيعابه في الجيش اللبناني، كما كان ذلك متوقعًا من ميليشيا "حزب الله". إذ إن حليف إيران كان يخطط سرًا للاستفادة من دعم عربي، والقضاء على الجنوب وإبقاء الحزب وإدخال الحرس الثوري، أي خداع أميركا وإسرائيل واستعمال الأخوة العربية والسيطرة التامة على لبنان. فوعّد النظام السوري والحكم في لبنان و"حزب الله" الدول العربية بأن إخراج إسرائيل وتدمير الجيش الجنوبي سيكون مدخلًا للسلام في المنطقة ولعلاقات جديدة مع طهران. فوضعت السعودية والدول الأخرى ثقلها في واشنطن لإقناع إدارة كلينتون بالضغط على إسرائيل للانسحاب وبالتخليّ عن الجيش الجنوبي مقابل ضمان عدم تعكير السوريين والإيرانيين بدء عملية السلام، علمًا أن هذا الجيش الصغير كان القوة الوحيدة على الأرض اللبنانية التي وقفت بوجه الميليشيا الإيرانية لعشرين عامًا.

من دفع ثمن انسحاب مايو ٢٠٠٠؟

أولًا أميركا، لأن قرار كلينتون وفّر قدرة لـ "حزب الله" استعملها ضد الأميركيين لعشرين عامًا في العراق والعالم، وأيضًا الدول العربية التي صدّقت وعود الأسد لتتفاجأ بإهدائه لبنان إلى ميليشيا ضربت العرب في طول المنطقة وعرضها لعقود، وإسرائيل التي أدّى قرار رئيس وزرائها إيهود باراك تفكيك الجيش الجنوبي بدلًا من أن يتركه يدافع عن أرضه وطوائفه السنية والدرزية والشيعة والمسيحية، فأوصل "حزب الله" إلى الحدود وأعطى هدية لإيران لمدة ٢٠ عامًا إضافيًا. وأخيرًا لبنان، الذي فقد ورقة أساسية لفرض حلّ دوليّ لسحب كل القوات الأجنبية وحلّ الميليشيات المتبقية بعد عام ٢٠٠٠. ولولا الجهد الكبير للمغتربين اللبنانيين في ٢٠٠٤ مع إدارة بوش لما انسحب الأسد من لبنان عام ٢٠٠٥.

فلو تمّ استيعاب عناصر الجيش الجنوبي في الجيش اللبناني لكان اكتسب قدرة أكبر، وبات للحكومة سيطرة فعلية على الحدود، وتحرّرت من الميليشيا الإيرانية وأنهت العمليات والاختراقات الإسرائيلية في لبنان، كما حدث مع مصر والأردن. فلدخل لبنان منظومة التحالف العربي بدلًا من المحور الإيراني أو أعلن حيادًا إيجابيًا في المنطقة. لبنان خسر نفسه عندما اجتاحه حافظ الأسد وعندما فقدت حكوماته قدرتها على استيعاب مواطنيها، بمن فيهم الجنوبيون الذين قاوموا "حزب الله" وإيران دفاعًا عن قراهم وعن السيادة اللبنانية.

لكن الحقيقة التاريخية كانت أن اللبنانيين أخفقوا بخلافاتهم في مقاومة نظام الأسد، وإن من ضغط على أميركا لخروج إسرائيل كان العرب بناءً على وعد سلام للفلسطينيين، ونكث الأسد، وربح "حزب الله" وانتقم وكتب التاريخ على ذوقه.